المقالات باللغة العربية

مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية كلية الآداب والعلوم الإبيار- جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
ISSUE 3 March 2025 16 رمضان 1446 العـــدد: الثالث مـــارس 2025

يونس بن حبيب: حياته، ونماذج من آرائه المفردة، وتأثيرها في آراء النحاة «دراسة وصفية تحليلية».

[1].د. عمر عثمان علي عوض،[2]. أ.مجدي عبد الرحيم فضل الشاعري
1.أستاذ مشارك بقسم اللغة العربيّة كلية التربية المرج
2.محاضر بقسم اللغة العربيّة كلية التربية المرج

تاريخ الاستلام: 20/9/2024 | تاريخ القبول: 15/11/2024 | تاريخ النشر:07/03/2025 | DOI: https://doi.org/10.37376/ajhas.vi3.7229

الملخص:

يهدف هذا البحث لتقديم دراسة حول شخصية يونس بن حبيب بقصد التعريف الموجز بها، وببعض آرائه التي انفرد بها، وكذلك بيان منهجه النحوي في استنباط القواعد، وتأثير آرائه في آراء النحاة، واتبع فيه الباحثان المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي لنماذج مختارة من آرائه الواردة في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو، وخلص البحث إلى التأكيد على مكانة يونس العظيمة بين النحاة، واستقلاله بمنهج خاص في استنباط القواعد النحوية؛ نتج عنها مخالفته للخليل وسيبويه وباقي النحاة في كثير من المسائل، كما أكدت تأثيره الكبير في التراث النحوي بما قدمه من اجتهادات انفرد بها، وآراء تأثر بها النحاة بعده.

الكلمات المفتاحية: انفرد، تأثير، الكوفيون، النحاة.

Yunus bin Habib: his life, examples of his individual opinions, and his influence on the opinions of grammarians ".Descriptive-analytical study"

[1]Dr. Omar Othman Ali Awad ,[2] Mr. Magdy Abdel-Rahim Fadl Al-Shaeri
1-Associate Professor Department of Arabic Language/Faculty of Education - Al-Marj/ University of Benghazi
2-Lecturer Department of Arabic Language/Faculty of Education - Al-Marj/ University of Benghazi

Abstract:

This research aims to present a study on the personality of Yunus bin Habib with the aim of briefly introducing him and some of his unique opinions, as well as explaining his grammatical approach in deducing rules, and the influence of his opinions on the opinions of grammarians. In it, the researcher followed the historical approach and the descriptive analytical approach for selected examples of his opinions contained in The book of Sibawayh and other grammar books. The research concluded by emphasizing the great position of Yunus among grammarians, and his independence with a special approach in devising grammatical rules. This resulted in his disagreement with Al-Khalil, Sibawayh, and the rest of the grammarians on many issues. It also confirmed his great influence on the grammatical heritage through the unique efforts he presented and the opinions that influenced grammarians after him.

Keywords: uniqueness - influence - Kufans - grammarians

Copyright©2024 University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens

Scan QR & Read Article Online.

المقدمة:

الحمد للَّه الذي جعل العلم فريضةً على كل مسلم، ورفع من شأن العلم والعلماء، وجعلهم ورثة الرسل والأنبياء، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد:

فإن من المسلم به أن الحفاظ على بقاء هوية أمتنا العربية والإسلامية مرتبط أشد الارتباط بجهود أبنائها في الحفاظ على إرثها الديني والثقافي الذي تشكل اللغة العربية أحد أهم ركائزه؛ لأنها لغة نصوصه الشرعية من القرآن والسنة وما يتصل بهما من كلام العرب شعرًا ونثرًا، فلا بقاء لهوية هذه الأمة ولا ازدهار لها إلا بأخذها بسنن السابقين من أبنائها ممن شيدوا صرح نهضتها في العصور السابقة، والاطلاع على ما خلفوه من تراث علمي وثقافي والبناء عليه؛ لتأخذ هذه الأمة مكانتها التي تستحقها بين الأمم.

والمطلع على تراثنا الفكري العربي يدرك جازما أن لنا إرثًا علميًّا عظيمًا، ولا سيما في علوم اللسان والبيان، فقد كتب أسلافنا من علماء العربية في كل علوم اللغة وأبدعوا، وارتفع صرح اللغة على أيديهم حتى طال عنان السماء، وترك هؤلاء العلماء الإجلاء تراثاً ضخماً يحتاج إلى مواصلة البحث والدرس؛ للكشف عن كنوزه، وبيان مكانته، حتى تصان هذه اللغة الشريفة من عبث العابثين، وتمكن دارسيها من الوقوف على أسرار جمالها وما حباها الله به من عطاياه لتكون لغة وحيه المعجز، ومن هؤلاء العلماء يونس بن حبيب الضبيّ، أحد أشهر علماء مدرسة البصرة وأحد شيوخ سيبويه الذين أكثر النقل عنهم في كتابه، فكتب لآرائه البقاء والخلود، ذلك العالم الجليل صاحب الآراء السديدة التي أفاد منها العلماء والمتعلمون، وقد تعددت آراؤه وأثَّرت فيمن جاء بعده من علماء النحو، من علماء مدرسة البصرة، أومدرسة الكوفة، أو من جاء بعدهم.

وهذا البحث يسعى لتقديم دراسة حول هذه الشخصية العظيمة بقصد التعريف بها، وببعض آرائها النحوية التي تفردت بها، وكذلك التعريج على نماذج من تأثير آرائه في آراء نحاة الكوفة وغيرهم، فجاء بعنوان: يونس بن حبيب: حياته، ونماذج من آرائه المفردة، وتأثيرها في آراء النحاة «دراسة وصفية تحليلية».

أسباب اختيار البحث:

يمكن أن نلخص أهم أسباب اختيار هذا الموضوع في النقاط الآتية:

1. مكانة يونس بن حبيب العلمية بين علماء النحو عامة وعلماء البصرة خاصة.
2. تعدد آراء يونس بن حبيب التي انفرد بها بين نحاة عصره، ورغبة الباحثين في الوقوف عليها، والتعرف على منهجه في استنباطها.
3. وجود أثر لآراء هذا العالم الفذ في آراء من جاء بعده من علماء مدرسة الكوفة وغيرهم.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في رغبة الباحثين في التعريف الموجز بهذه الشخصية النحوية الفذة وبيان مكانتها بين علماء النحو العربي، والوقوف على آرائها التي تفردت بها، وبيان مدى تأثير آرائها في آراء علماء مدرسة الكوفة وغيرهم

من النحاة.

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى:

1- التعريف الموجز بشخصية يونس بن حبيب.

2. إلقاء الضوء على مذهبه النحوي، ومنهجه في استنباط القواعد.

3. تحليل نماذج من آرائه النحوية بقصد بيان انفراده ببعض الآراء النحوية، وبيان تأثيرها في آراء غيره من النحاة.

الدراسات السابقة:

1. دراسة بعنوان: (أثر يونس بن حبيب في كتاب سيبويه) لعبد العزيز الخثلان، هو أستاذ النحو والصرف المشارك في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الملك فيصل، نشر هذا البحث في مجلة مجمع اللغة العربية علي الشبكة العالمية السنة (5)، العدد (14)، 2017م.

هدف البحث إلى بيان الأثر الذي تركه يونس بن حبيب في كتاب سيبويه؛ إذ كان يونس أحد عالمين امتلأ الكتاب بذكرهما والإفادة منهما والرجوع إليهما في كثير من مباحثه وقضاياه، فتتبع هذا الأثر بالوقوف على ما أفاده سيبويه من يونس في رواية كلام العرب نثرا وشعرا، ومعرفة آراء من سبقه من العلماء، ومنهج الاستدلال بالسماع والقياس والاستصحاب وتعليل الأحكام وتوجيهها وموقفه من الضرورة الشعرية.

استخدم البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء الدقيق لآراء يونس في الكتاب، ثم تحليلها، واتخاذ ذلك وسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغاة.

وكان من أهم النتائج أن سيبويه أفاد من يونس في العناية بآراء العلماء السابقين، والدقة في نسبتها إليهم، وأهمية السماع وتقديمه على القياس، والحرص على توجيه النصوص الفصيحة من آيات الذكر الحكيم، وأقوال العرب شعرا ونثرا، والاعتداد بالقراءات القرآنية واحترامها والاستدلال بها، واعتماد الشعر مصدرا في تقعيد المسائل وتوجيهها وتعليلها، والاستشهاد بشعراء عصره، والاعتناء بالقياس الذي يتوافق مع طبيعة اللغة، والأخذ بالإجماع والاستصحاب في الاستدلال النحوي، وأهمية التعليل والتوجيه في الأحكام النحوية.

2. دراسة بعنوان: (يونس بن حبيب بين تلميذيه سيبويه والكسائي) لنجاح ثويني الذايدي، كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة الكويت.

يهدف البحث إلى بيان الأهمية اللغوية والنحوية ليونس بن حبيب، والكشف عن بعض معالم منهجه في تناول المسائل اللغوية والنحوية، والتأكيد على قيمة الاحترام والتوقير المتبادل بين التلاميذ وأستاذهم حتى عند الاختلاف.

يتبع البحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على تلمس أثر يونس بن حبيب في تلميذيه سيبويه والكسائي في منهج تناول المسائل النحوية واللغوية، سواء كان بقبول آرائه أو مخالفتها، وآليات ذلك.

أظهرت نتائج البحث وجود نظرات منهجية خاصة بيونس تتفق مع ما ينادي به علم اللغة الحديث من

اجتماعية اللغة وتطبيقيتها، وكان ليونس بين تلميذيه سيبويه والكسائي مكانة خاصة يتبين ذلك من مواقفهما عند ذكر اسمه وما روي عنها، كما كان لسيبويه والكسائي مكانة خاصة عند أستاذهما يونس بن حبيب؛ حيث كان ينزلهما منزلة خاصة.

يتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة المذكورة بأنه يتناول جميع آراء يونس بن حبيب النحوية المتناثرة في كتب التراث كافة، لعدم وجود مصنف خاص بالنحو لهذا العالم الجليل.

3. بحث بعنوان: (يونس بن حبيب وجهوده النحوية والصرفية) لسلوى عبد الفتاح حسن بدوي، المدرس بقسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، بجمهورية مصر العربية، وهو بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بجرجا، المجلد 16، العدد 2، 2012. وهدف البحث إلى التعريف بهذه الشخصية، والوقوف على تأثيرها في كتاب سيبويه، وإظهار جهود يونس اللغوية، والنحوية، والصرفية، وعلاقته بالخليل بن أحمد، وآرائه في تفسير القرآن الكريم، وتأثيره في مدرسة الكوفة. واتبعت فيه الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت إلى التأكيد على مكانة يونس بين النحاة المؤسسين لمدرسة البصرة، وعظيم تأثيره في سيبويه، وطبيعة علاقته بالخليل بن أحمد، وكذلك بيان تأثيره في نحاة مدرسة الكوفة، والوقوف على شيء من إسهاماته في تفسير القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى دراسات وكتب أخرى منها:

1 . كتاب بعنوان: (يونس بن حبيب) لحسين نصّار، كتاب منشور ضمن سلسلة أعلام العرب سنة 1968م.

2 . كتاب بعنوان: (يونس البصريّ: حياته، وآثاروه، ومذهبه) لأحمد مكي الأنصاري، سنة 1973م.

3 . بحث بعنوان: (موقف من يونس بن حبيب) لمحمد حسني محمود، من الجامعة الأردنية، منشورات موقع مجمع اللغة الأردني.

هذا بالإضافة إلى ما أورده شوقي ضيف، في كتابه (المدارس النحوية)، وما أورده عنه علي النجدي ناصف في كتابه (سيبويه إمام النحاة).

خطة البحث:

لتحقيق أهداف البحث اقتضت طبيعته تقسيم خطته على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

المبحث الأول: سيرة يونس بن حبيب

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: سيرته الشخصية.

المطلب الثاني: سيرته العلمية.

المبحث الثاني: دراسة في آراء يونس بن حبيب وتحليلها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من الآراء التي انفرد بها يونس بن حبيب

المطلب الثاني: نماذج من تأثير آراء يونس بن حبيب في آراء النحاة

وخاتمة بأهم نتائج البحث وتوصياته.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان في هذا البحث على منهجين من مناهج البحث، هما: المنهج التاريخي في الحديث عن حياة يونس بن حبيب، والمنهج الوصفي التحليلي في بيان آراء يونس بن حبيب وتحليل نماذج منتقاة منها.

المبحث الأول: سيرة يونس بن حبيب

المطلب الأول: سيرته الشخصية

اسمه، ونسبه:

هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي البصري، ويكاد أغلب الذين ترجموا له يتفقون على أنه أحد الموالي العرب، ولكنهم اختلفوا فيمن كان مولاه فقيل: هو مولى بني ضبة، وقيل: هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضاً: مولى بلال بن هيرمي من بني ضبيعة بن بجالة. (ابن خلكان، دت، 7/144)

كنيته:

كُنّي يونس بن حبيب بأبي عبد الرحمن، وذهب قوم إلى أن كنيته أبو محمد، لكن المشهور أن كنيته أبو عبد الرحمن وهذا ما عليه أكثر المؤرخين (ابن خلكان، دت، 3/545)

مولده:

اختلف العلماء في السنة التي ولد فيها يونس بن حبيب فمنهم من ذهب إلى أن ولد سنة تسعين من الهجرة النبوية، ومنهم من ذهب إلى إنه ولد سنة ثمانين، وذكر صاحب الأعلام أنه ولد سنة أربع وتسعين، والراجح أنه ولد سنة ثمانين كما ذهب إليه ياقوت الحموي وابن خلكان (ابن خلكان، دت، 3/546)

ومهما اختلفت المصادر في تحديد تاريخ مولده إلا أنها تتفق على أنه كان من المعمرين وأنه عاش بعد سيبويه زماناً. والمشهور عن يونس أنه لم يتزوج ولم يتسرَّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال (القفطي، 1955، 4/77)

وفاته:

على نحو اختلاف أصحاب التراجم في سنة ولادة يونس اختلفوا أيضاً في سنة وفاته، فذهب بعضهم إلى أنه توفي سنة 182هـ، وقيل: سنة 183هـ، الراجح الأول، يعني أنه توفي سنة 182هـ (ابن خلكان، دت، 7/244)

المطلب الثاني: سيرته العلمية

يونس بن حبيب أحد الأعلام الثقات، وقد توفرت فيه كثير من الصفات الحميدة التي أثنى عليها العلماء، من أهمها الأمانة في النقل والحرص الشديد على التثبت في الآراء، وقد أثنى عليه كثير من العلماء، قال عنه إبراهيم الحربي: «كان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سُنّة، أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي» (العسقلاني، 1327هـ، 3/163،164)

وقال أبو الخطاب: « مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شيء إلا بعُسِر، فإذا دخله لم يخرج منه

شيء «.(الزبيدي، 1973، 48)

وقال أبو زيد: «ما رأيت أبذل لعلم من يونس».(الزبيدي، 1973، 48)

وقال عنه ياقوت الحموي: «وكان يونس عالما بالشعر، نافذ البصيرة في تمييز جيّده من رديئة، عارفاً بطبقات شعراء العرب، حافظ لأشعارهم، يرجع إليه في ذلك كله».(الحموي، 1993، 6/65)

فقد رحل يونس إلى البادية وسمع عن العرب كثيراً، مما جعله راوياً كبيراً من رواة اللغة والغريب، وينسب إليه تصنيف كتاب في اللغات؛ لذلك كان يتردد اسمه في كتاب سيبويه في شواهد اللغة أكثر بكثير من تردده في الآراء النحوية؛ فسيبويه - على ما يبدو- لم يكن يعجب بتلك الآراء، وكان الخليل قد استولى عليه، فلم يكن يترك فيه بقيه لغيره وخاصة في قواعد النحو وأقيسته. (ضيف، 2017، 28)

وكان يونس إلى جانبا إمامته في النحو عالما بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من ردئيه، عارفاً بطبقات شعراء العرب، حافظاً لا شعارهم، يرجع إليه في ذلك كله، حدث محمد بن سلام فقال: سألت يونس النحوي عن أشعر العرب، فقال: لا أومئ إلى رجل بعينه ولكني أقول: «امرؤ القيس إذا ركب، و النابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب» وكان يفضل الأخطل على جرير والفرزدق وقد انفرد بذلك.(الحموي، 1993، 6/77)

شيوخه:

تلقَّى يونس بن حبيب العلم على كبار علماء عصره، ومن أشهر هؤلاء:

حماد بن سلمة: وهو حماد بن سلمة بن دينار النحوي اللغوي، مولى ربيعه بن مالك، كان إماماً في الحديث، كما كان مولعاً بالنحو، قال عنه يونس بن حبيب: «أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة»، توفي سنة 167هـ (القفطي، 1955، 1/330، ابن الجزري، 1982، 1/258)

أبو عمر بن العلاء: وهو زبان بن العلاء بن عمار، ينتهي نسبه عند معد بن عدنان، من أشراف العرب ووجهائها، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، صدوق حجة في القراءات، بل هو أحد القراء السبعة المشهورين، قال عنه يونس: «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمر بن العلاء في العربية» توفي سنة 154 هـ (الزبيدي، 1973، 28، الحموي، 1993، 11/160)

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي: وهو عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري، كنيته أبو بحر، المقرئ النحوي العلامة في العربية، سئل يونس عنه فقال: «هو والنحو سواء» توفي سنة 117هـ (السيرافي، 1974، 25،26)

تلاميذه:

التف حول يونس بن حبيب طلاب العلم من كل مكان بعد أن عرفوا قدره وإخلاصه في العطاء، قال أبو زيد: «ما رأيت أبذل العلم من يونس».(القفطي، 1955، 334)

كما عرفوا حرصه على علوم العربية وإقباله عليها لا يشغله عنها شاغل حتى أصبح له حلقة ينتابها طلاب العلم من كل مكان، وصارت حلقته في وصف مروان بن أبي حفصة حيث قال: «لم أرَ حلقة أعظم من حلقة يونس».

(الأنباري، 1924، 43)

وقد طال عمر هذه الحلقة بطول عمر صاحبها حتى قال أبو زيد الأنصاري: «جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة». وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: «اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه».(القفطي، 1955، 2/366، الحموي، 1993، 2/ 65، ابن خلكان، دت، 3/416)

وقد كانت هذه الحلقة مقصداً لفصحاء الأعراب ووفود البادية للالتقاء بهم والتحدث معهم ولسؤال المترددين عليها، كما كانت مقصدا للأدباء والشعراء، وكان الهدف الأول لمقصد هذه الحلقة هو علم العربية الذي برز فيه يونس وبرز فيه تلاميذه الملتفون حوله(الأنباري، 1924، 98، السيوطي، 1979، 2/8)

فتلمذ ليونس بن الحبيب جماعة من جهابذة النحاة واللغويين، ومن هؤلاء:

أبو زيد الأنصاري: وهو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن نعمان بن مالك، ثقه، ثبت، قال السيرافي: كان أبو زيد يقول: كلما قال سيبويه: أخبرني الثقة فأنا أخبرته به.

روى عنه ابن خلكان قوله: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وتوفي سنة 215 هـ(الزبيدي، 1973، 165، السيوطي، 1979، 1/582)

سيبويه: وهو عمرو بن عثمان بن قنبر، من موالي بني الحارث بن كعب، من أهل فارس، يكنى بأبي بشر، كان من أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو، أكثر فيه من النقل من شيخه يونس بن حبيب، توفي سنة 180هـ.(اللغوي، دت، 65، ابن خلكان، دت، 2/436، الزركلي، دت، 5/180)

الكسائي: وهو علي بن حمزة الكسائي، إمام أهل الكوفة في النحو واللغة، وأحد القرّاء السبعة المشهورين، أخذ عن البصريين كيونس بن حبيب وأبي عمرو والخليل، توفي سنة 189هـ.(الزبيدي، 1973، 127، السيوطي، 1979، 2/162)

أبو عبيدة معمر بن المعنى اللغوي البصري: أخذ عن يونس وأبي عمرو، وهو أول من صنف غريب الحديث، روى عنه ابن خلكان قوله: « اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه» توفي سنة 225هـ (السيوطي، 1979، 2/196)

أبو عمرو الجرمي: وهو صالح بن إسحاق البجلي، مولى جرم بن زبان أخذ النحو عن الأخفش ويونس، واللغة عن الأصمعي، توفي سنة 225 هـ.(السيرافي، 1974، 84، القفطي، 1955، 2/80)

مؤلفاته:

خلف يونس بن حبيب مؤلفات عديدة في اللغة، والنحو، ومعاني القرآن، والأدب والشعر، ومنها: معالي القرآن، كتاب اللغات، وكتاب النوادر الكبير، والنوادر الصغير، وكتاب الأفعال. و ذكر صاحب الأعلام أن كتابه في معاني القرآن مكون من قسمين: كبير وصغير، وكتاب معاني الشعر، والقياس في النحو. لكن عوادي الزمان عدت على هذه المؤلفات؛ فلم تبق لنا منها شيئاً، فلم يصل إلينا منها إلا أسماؤها فقط، على نحو ما ذكره ياقوت الحموي،

حيث قال في ترجمة يونس: «ومن تصانيفه: كتاب معاني القرآن الكبير، وكتاب معاني القرآن الصغير، وكتاب النوادر، وكتاب الأمثال».(الحموي، 1993، 2/67)

مذهبه النحويّ:

يونس بن حبيب أحد أعلام المدرسة البصرية المبرزين، تتلمذ على يديه أعلامها وعلى رأسهم سيبويه، كما تتلمذ على يديه أيضاً أعلام المدرسة الكوفية كالكسائي والفرّاء وغيرهم، إلا أنه كان صاحب عقلية متحررة؛ فكان لا يبالي بموافقة هؤلاء أو أولئك، إنما كان يعنيه انتهاج منهج خاص به يرتضيه ولو تفرد به عن سائر الناس، ومن هنا قيل عنه: «كان له قياس في النحو مذاهب يتفرد بها».(السيوطي، 1979، 2/365)

فقد كان يعتمد على السماع كثيراً ويقدمه على القياس، إلا أنه كان يقيس على القليل ولو كان شاهداً واحداً، كما في المفعول له، حيث أجاز مجيئه من غير المصدر، مستدلا بقول العرب: أما العبيدُ فذو عبيدٍ.(سيبويه، 1988، 1/389)، كما أنه أجاز حذف حرف الجر وبقاء عمله مستدلاً بما حكاه العرب من قولهم: مررت برجلٍ صالحٍ، إلا صالحٍ فطالحٍ، إذا التقدير: إلا أمرُّ بصالح فقد مررت بطالح. قال سيبويه: «وزعم يونس أن من العرب من يقول: إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إن لا أكن مررت بصالحٍ فبطالحٍ وهذا قبيح ضعيف، لأنك تضمر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذي تضمر بعد إن لا في قولك: إن لا يكن صالحاً فطالحٌ. ولا يجوز أن يضمر الجار، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل. وكان هذا عندهم أقوى إذا أضمرت رب ونحوها في قولهم:

-وبلدةٍ ليس بها أنيس». (سيبويه، 1988، 1/45)

-ومن أقيسته التي تفرد بها أنه أجاز إعمال (لكِنْ) المخففة قياساً لها على (إنْ وأنَ) حال التخفيف .... الخ .(السيرافي، 1974، 33، السيوطي، 1979، 2/365)

-فهذا هو مذهب يونس النحوي، وهو يتفق مع منهجه العام الذي اختطه لنفسه، وعرفه عنه أتباعه والمحيطون به، وتناقلته كتب التراجم.

المبحث الثاني: دراسة في آراء يونس بن حبيب وتحليلها

المطلب الأول: نماذج من الآراء التي انفرد بها يونس بن حبيب

نسب إلى يونس بن حبيب عدد من الآراء النحوية التي تحمل صفة الرأي المنفرد أو المخالف لرأي الخليل وسيبويه أو جمهور النحويين، وعادة ما ترد هذه الآراء منسوبة له في كتاب سيبويه، فقد حرص سيبويه على إيراد آراء شيخه يونس بن حبيب ومقارنته بآراء شيخه وعمدته في النحو الخليل بن أحمد، مستعرضًا حجة كل منهم من المنقول أو المعقول، وتفضيل رأي الخليل غالبًا.

كما وردت بعض آراء يونس بن حبيب المفردة في مصادر تالية لكتاب سيبويه، ويمكن تعليل ذلك بأن يونس بن حبيب عاش بعد وفاة سيبويه، ونقلت عنه آراء واجتهادات أخرى بعد وفاة سيبويه لم ترد في الكتاب.

وفيما يأتي عرض لنماذج من آرائه التي انفرد بها، مع مقارنتها بآراء غيره، وفيها يظهر بوضوح اطلاعه الواسع على لغات العرب وإحكامه لصناعة النحو التي مكنته من الاجتهاد، والتحرر من تقليد غيره:

1 – إجازة إضمار حرف الجر مع عامل آخر في وسط الجملة وبقاء عمله:

جوَّز يونس إضمار حرف الجر في غير المواضع المعهودة لذلك، قال سيبويه: «وزعم يونس أن من العرب من يقول: إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إن لا أكن مررت بصالحٍ فبطالحٍ وهذا قبيح ضعيف، لأنك تضمر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذي تضمر بعد إن لا في قولك: إن لا يكن صالحاً فطالحٌ. ولا يجوز أن يضمر الجار، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل. وكان هذا عندهم أقوى إذا أضمرت رب ونحوها في قولهم: وبَلْدَةٍ ليس بها أنيسُ».(سيبويه، 1988، 1/262)

وهذا الذي قال به يونس يوصف بالضعف؛ لأن فيه إضمار لعوامل لا يجوز إضمارها في مثل هذه المواضع؛ يقول السيرافي: « فقبح سيبويه قول يونس من جهتين: إحداهما: أنك تحتاج إلى إضمار أشياء؛ وحكم الإضمار أن يكون شيئا واحدا، وذلك أنك إذا قلت: مررت برجل إن لا صالح فطالح تقديره: إن لا أكن مررت بصالح: فتضمر: «أكن» و«مررت» و«الباء»؛ ولا يشبه هذا إن لا صالحاً؛ لأنك إذا قلت: إن لا صالحاً تقديره: إن لا يكن صالحاً، والجهة الأخرى: أن حرف الجر يقبح إضماره إلا في مواضع قد جعل منه عوض؛ كقولهم:

وبلدٍ عاميةٍ أعماؤُهُ كأنَّ لونَ أرضِهِ سماؤُهُ

في معنى: ورب بلد».(السيرافي، 2008، 161،2/160)

والحق أن النحويين جوزوا إضمار بعض العوامل في مواضع معينة منها: الفعل المدلول عليه بعد «إذا» – على رأي البصريين – في نحو قوله تعالى: «إذا السماءُ انشقتْ» الانشقاق الآية:1 ؛ فالسماء عندهم فاعل لفعل محذوف تقديره: انشقت، وكذلك حرف الجر في نحو: بكم درهم اشتريت هذا – على رأي سيبويه والخليل – إذ التقدير عندهما: بكم من درهم اشتريت هذا، و«رب» المدلول عليها بالواو والفاء وبل، وكذا بعض الأفعال بعد «إن» الشرطية في نحو قول الشاعر:

قدْ قيلَ ما قيلَ إنْ صدقًا وإنْ كذبًا فما اعتذارُكَ مِنْ قولٍ إذا قِيلا

والتقدير: إنْ كان المقولُ صدقاً وإنْ كانَ كذباً.(ابن عقيل، 1980، 295،1/294)

وقول الآخر:

فطلِّقْها فلستَ لها بِكُفْءٍ وإلّا يعلُ مفرقَكَ الحسامُ

والتقدير: إنْ لا تطلقها يعلُ مفرقَك الحسامُ.(ابن عقيل، 1980، 43،4/42)

ولم يعهد عند النحويين إضمار أكثر من عامل في آن واحد وهذا ما يُضعف قول يونس السابق.

2 – القول بأن (لَبَيْكَ) اسمٌ مفردٌ وليس مثنًى:

ومما انفرد به يونس أيضاً جعله «لبّيك» اسماً مفرداً؛ ورد في الكتاب: «وزعم يونس أن لَبَّيك اسمٌ واحدٌ ولكنَّه جاء على « هذا » اللفظ في الإضافة، كقولك: عليك. وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حَوالَيْكَ؛ لأنا سمعناهم يقولون: حَنانٌ. وبعض العرب يقول: « لَبَّ « فيجريه مجرى أَمْسِ وغاقِ، ولكن موضعه نصبٌ. وحَوالَيْكَ بمنزلة حَنانَيْكَ.

ولست تحتاج في هذا الباب إلى أن تفرد؛ لأنك إذا أظهرت الاسم تبين أنه ليس بمنزلة عَلَيْكَ وإلَيْكَ؛ لأنك « لا

« تقول: لَبَّي زيدٍ وسَعْدَي زيدٍ».(سيبويه، 1988، 1/351)

رأي يونس مخالف لمذهب جمهور النحويين الذين يعدون» لبّيك» اسماً مثنى وغرض التثنية فيه التكثير ولا يستعمل إلا مضافاً.(ابن يعيش، 2001، 1/292)

وقد رد سيبويه في قوله السابق قول يونس بأنه لو كانت الياء في «لبّيك» بمنزلة ياء «عليك» و»إليك» لوجب أنك متى أضفتها إلى ظاهر، أقررت ألفها بحالها كما أنك إذا أضفت «على» و»إلى» إلى الظاهر أقررت ألفها، وكنت تقول: هذا لبى زيد، ولبى جعفر، كما تقول: على زيد، وإلى عمرو، وأنشد:

دعوتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا فَلَبَّي فَلَبَي يَدَيْ مِسْورِ

فلو كان بمنزلة «عَلَى» لقال: فلَبَّى يَدَيْ مسور لأنك تقول: عَلَى زيدٍ إذا أظهرت الاسم. (سيبويه، 1988، 253،1/252)

3 – نصب (وَحْدَهُ) على الظرفية، وليس على الحالية:

ومما ورد من انفرادات عالمنا الجليل يونس النحوية في كتاب سيبويه جعله «وحده» ظرفاً: قال سيبويه: « وزعم يونس أنَّ وَحْدَهُ بمنزلة عِنْدَهُ «.(سيبويه، 1988، 1/378)؛ وقال في موضع آخر: « وجعل يونس نصب وَحْدَهُ كأنك قلت: مررت برجل على حِيالِهِ، فطرحت « عَلَى « ، فمن ثم قال: هو مثل عَنْدَهُ. وهو عند الخليل كقولك: مررتُ به خصوصاً». (سيبويه، 1988، 1/378)

ومذهب أغلب النحاة في «وَحْدَهُ» - إذا قلت: سافر الرجلُ وَحْدَهُ - أنها منصوبة حالاً بمعنى «منفرداً.(ابن يعيش، 2001، 2/18، ابن عقيل، 1980، 2/249)

وذكر المرادي أن ابن هشام أجاز ما ذهب إليه يونس من جعل «وحده» ونحوه منصوباً على الظرفية؛ فإذا قيل: زيد وحده؛ أي: زيد موضع التفرد، وأضاف إلى ذلك وجهاً آخر وهو نصبه على المصدرية بفعل مقدر هو الخبر، كما قالوا: «زيد إقبالاً»؛ أي: يقبل إقبالاً.(المرادي، 2008، 2/696)

ويظهر أن وجه جعل» وحده «ظرفاً وهو في موضع الخبر – كما في المثال: زيد وحده – ربما يكون مقبولاً؛ فكثيراً ما يقع الظرف موضع الخبر؛ ولكن إذا ورد في جملة فعلية – على نحو: جاء زيد وحده – لا يبدو أن وضعية جعله ظرفاً هنا مرجحة، بل الأصوب أن يجعل مصدراً وقع حالاً بمعنى «منفرداً»؛ وإذا رجعنا إلى التمثيل الوارد في كتاب سيبويه في قوله: «وجعل يونس نصب وحده كأنك قلت: مررت برجل على حياله، فطرحت على».(سيبويه، 1988، 1/378) ظهر التعسف في وضع الظرفية في حال الجملة الفعلية.

4 – إجازة مجيء المفعول له من غير المصدر:

ومن التفرد بالرأي النحوي عند يونس حسب ما ورد في «الكتاب» تجويزه إتيان المفعول له من غير المصدر في قولهم: «أما العبيدُ فذو عبيدٍ»؛ يقول سيبويه: «وزعم يونس أنَّ قوماً من العرب يقولون: أما العبيدُ فذو عبيدٍ، وأما العبدُ فذو عبدٍ، يجرونه مجرى المصدر سواء. وهو قليل خبيث. وذلك أنهم شبهوه بالمصدر كما شبهوا الجماءَ الغفيرَ بالمصدرِ، وشبهوا خمستَهم بالمصدر. كأن هؤلاء أجازوا: هو الرجلُ العبيدَ والدراهمَ، أي للعبيدِ وللدراهمِ، وهذا لا يتكلم به، وإنما وجهه وصوابه الرفع، وهو قول العرب وأبي عمرو ويونس، ولا أعلم الخليل خالفهما. وقد حملوه

على المصدر، فقال النحويون: أمّا العلمُ والعبيدُ فذو علمٍ وذو عبيدٍ. وهذا قبيح، لأنك لو أفردته كان الرفع الصواب، فخبث إذ أجرى غير المصدر كالمصدر، وشبهوه بما هو في الرداءة مثله، وهو قولهم: وَيْلٌ لهم وَتَبٌّ.(سيبويه، 1988، 1/389)

وموضع الشاهد هو نصب (العبيد)؛ بمعنى: مهما يذكر شخص لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد؛ واقتضى كلامه: أن العبيد مفعول له مع كونه غير مصدر .

وهذا الذي قال به يونس لا يتوافق مع رأي النحويين؛ إذ أن من الشروط الأساسية لجعل الاسم مفعولاً له هو كونه مصدراً نحو: سجد الرجل شكراً لله؛ فإذا فقد هذا الشرط تعين جره بحرف الجر نحو: جئتك للسمن. (ابن عقيل: 1980، 2/186)

ولعل الأمر الآخر الذي يفتح في رأي يونس المتقدم أن ما بعد «أمّا» الشرطية تقع عادة الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر التي تتأخر فيها فاء الجواب اللازمة إلى الخبر نحو: أما المسلم فلا يعتدي، فالأولى أن تكون عبارة (فأمّا العبيدُ فذو عبيدٍ) آتية في وضع المبتدأ والخبر؛ خاصة أن المثال المذكور فيه رفع للشطر الثاني من الجملة «ذو عبيد» على أنه خبر، وأما التأويل الذي فسر به رأيه – وهو: مهما يذكر شخص لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد – ففيه كثير من الحذف والتعسف.

5 – إجازة الفصل بين (كَمْ) الخبرية و والمضاف إليها بالظرف أو الجار والمجرور:

ومما انفرد به يونس أيضاً تجويزه الفصل بين «كم الخبرية» والمضاف إليها بالظرف أو الجار والمجرور؛ قال سيبويه:» والجرّ في: كم بها رجلٍ مصابٍ، وترك النون في لا يَديْ بها لك، قول يونس، واحتج بأن الكلام لا يستغني إذا قلت كم بها رجلٍ. والذي يستغني به الكلام وما لا يستغني به قبحهما واحدٌ إذا فصلت بكل واحد منهما بين الجارّ والمجرور. ألا ترى أن قبح كم بها رجلٍ مصاب، كقبح رُبّ فيها رجل، فلو حسن بالذي لا يستغني به الكلام لحسُن بالذي يستغني به، كما أن كل مكان حسن لك أن تفصل فيه بين العامل والمعمول فيه بما يحسن عليه السكوت حسن لك أن تفصل فيه بينهما بما يقبح عليه السكوت. وذلك قولك: إن بها زيداً مصابٌ، وإن فيها زيداً قائمٌ، وكان بها زيد مصاباً، وكان فيها زيدٌ مصاباً. وإنما يفرّق بين الذي يحسُن عليه السكوت وبين الذي لا يحسن عليه في موضع غير هذا. «.(سيبويه، 1988، 3/280،281)

والحق أن هذه المسألة للنحاة فيها ثلاثة وجوه؛ أحدها: أنه لا يجوز إلا في الشعر وهو مذهب جمهور البصريين، والثاني: أنه يجوز في الاختيار وهو مذهب الكوفيين، والثالث: أنه يجوز إذا كان الفصل بناقص نحو: «كم اليوم جائع أتاني» و»كم بك مأخوذ جاءني» لا إن كان بتام، وهو مذهب يونس المتقدم.(المرادي، 2008، 3/1339)

6 – تجويز إتيان نون التوكيد بعد أسلوب العرض:

ومن انفرادات يونس النحوية الواردة في كتاب سيبويه تجويزه مجيء نون التوكيد بعد أسلوب العرض؛ يقول سيبويه: « وزعم يونس أنك تقول: هلَّا تقولنَّ، وألَّا تقولنَّ. وهذا أقرب لأنك تعرض، فكأنَّك قلت: افعلْ؛ لأنه استفهام فيه معنى العرض. ومثل ذلك: لولا تقولنَّ؛ لأنك تعرض».(سيبويه، 1988، 3/514)

وهذا التجويز مساير لما يورده النحاة من مشابهة أسلوب العرض لأساليب الأمر والنهي والاستفهام؛ فإذا قلت: ألا تنزلنَّ، وألا تقولنَّ؛ فإنك تعرض، فهو بمنزلة الأمر والنهي؛ لأنه استدعاء كما تستدعي بالأمر.(ابن يعيش، 2001، 5/168)

7 - تجويز إبدال نون التوكيد الخفيفة واواً مع فعل جماعة الذكور وياءً مع فعل المخاطبة في حالة الوقف:

ومما انفرد به يونس من الآراء النحوية تجويزه إبدال نون التوكيد الخفيفة واواً مع فعل جماعة الذكور وياءً مع فعل المخاطبة في حالة الوقف، قال سيبويه: «وأما يونس فيقول: اِخْشَيِي، واِخْشَوُوا، يزيد الياء والواو بدلاً من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة «.(سيبويه، 1988، 3/522)

وهذا الرأي مخالفٌ لمذهب الخليل وسيبويه؛ يقول صاحب الكتاب: «فقال الخليل: لا أرى ذاك إلَّا على قول من قال: هذا عمرُو، ومررت بعمرِي. وقول العرب على قول الخليل.

وإذا وقفت عند النون الخفيفة في فعل مرتفع لجميع رددت النون التي تثبت في الرفع، وذلك قولك وأنت تريد الخفيفة: هل تضربين، وهل تضربون، وهل تضربان. ولا تقول: هل تضربونا، فتجريها مجرى التي تثبت مع الخفيفة التي في الصلة.

وينبغي لمن قال بقول يونس في اخشيي واخشووا إذا أردت أراد الخفيفة أن يبقول: هل تضربوا، يجعل الواو مكان الخفيفة كما فعل ذلك في اخشيي؛ لأنَّ ما قبلها في الوصل مرتفع إذا كان الفعل للجمع ومنكسر إذا كان للمؤنث، ولا يردّ النون مع ما هو بدل من الخفيفة كما لم تثبت في الصلة، فإنما ينبغي لمن قال بذا أن يجريها مجراها في المجزوم؛ لأنَّ نون الجميع ذاهبة في الوصل كما تذهب في المجزوم، وفعل الاثنين المرتفع بمنزلة فعل الجميع المرتفع».(سيبويه، 1988، 3/522،523)

وجعل ابن يعيش ما ذهب إليه يونس جارياً على قياس من يبدل من التنوين في حالتي الرفع و الجر في نحو: هذا قاضٍ و مررت بقاضٍ.(ابن يعيش، 2001، 5/243)

8 – إجازة إعمال (لكنَّ) إذا خُفِّفَتْ:

وقد اختلف النحاة في إعمال (لكن) إذا خففت، وجاء خلافهم على النحو الآتي:

أولا: ذهب جمهور النحويين إلي أنها إذا خفف بطل عملها وجوباً لزوال اختصاصها بالفعل، ولا يعمل إلا ما كان مختصاً؛ ولأن عملها إنما كان لشبهها بالأفعال، فلمّا خففت باين لفظها الفعل فضعفت عن العمل، ولهذه لم يسمع عن العرب إعمالها مع التخفيف.(ابن يعيش، 2001، 8/80)

ثانيا: ذهب يونس والأخفش، وتبعهما المبرد إلى أن (لكنَّ) إذا خففت لم يبطل عملها؛ لأنها إنما تعمل قياسًا على (إنَّ، وأنَّ)، فكما أنهما بالتخفيف لم يخرجا عما كانا عليه قبل التخفيف، فكذلك (لكنَّ)، فإذا قلت: ما جاءني زيد لكنْ عمرو، فعمرو مرتفع بـ (لكنْ) على أنه الخبر، والاسم مضمر محذوف.(الشلوبين، 1973، 237، ابن يعيش، 2001، 8/81، ابن مالك، 1990، 2/38)

هذه نماذج مما تفرد به يونس بن حبيب من آراء في كتاب سيبويه، ولعل من نافلة القول الذهاب إلى أن

بعض ما ذهب إليه وجد له مناصرون ممن تلوا زمانه، وهو ما سيتم التركيز عليه في المطلب القادم.

المطلب الثاني: نماذج من تأثير آراء يونس بن حبيب في آراء النحاة

نورد في هذا المطلب عددًا من آراء يونس بن حبيب التي كان لها صدًى في آراء غيره من النحاة سواءً من نحاة الكوفة أو من غيرهم من النحاة؛ لما وجدوه فيها من أصالة في الفكر واعتمادًا على أدلةٍ مقبولة من النقل أو العقل أدت إلى اختيارهم لها والقول بها.

1 - تجويز إعمال (ما) عمل (ليس) في الخبر الموجب:

من آراء يونس بن حبيب النحوية التي نلمس أثرها في آراء النحاة بعده تجويزه إعمال (ما) عمل (ليس) في الخبر الموجب؛ وهذا الرأي من آرائه التي لم تصل إلينا عبر كتاب سيبويه، بل أخذت طريقها لمصنفات العلماء عن طريق سبل أخرى، ولا يبعد أن تكون أخذت منه بعد وفاة سيبويه؛ فالرجل عاش زمناً يقدر بأربعة وعشرين عاماً بعد صاحب الكتاب؛ قال المرادي: « وروي عن يونس من غير طريق سيبويه إعمال ما في الخبر الموجب بإلّا؛ واستشهد على ذلك بعض النحويين، بقول مغلس:

وما حقُّ الذي يعثو نهاراً ويسرقُ ليلَهُ إلَّا نكالا

وبقول الآخر:

وما الدهرُ إلا منجنوناً بأهلِهِ وما صاحبُ الحاجاتِ إلا معذَّبا

ووافق ابن مالك يونس، على إجازة ذلك، قال: ما اخترته من حمل إلّا منجنوناً وإلّا نكالا على ظاهرهما، من النصب بـ(ما) هو مذهب الشلوبين».(المرادي، 1992، 325)

2 – إجازة مجيء الحال معرفة مطلقًا دون مسوّغ:

ومما روي من انفرادات يونس النحوية في الكتاب تجويزه تعريف الحال في غير المواضع القليلة التي ذكرها النحويون لذلك؛ فقد جاء في الكتاب: « وأما يونس فيقول: مررت به المسكينَ على قوله: مررتُ به مسكيناً. وهذا لا يجوز؛ لأنه لا ينبغي أن يجعله حالاً ويدخل فيه الألف واللام، ولو جاز هذا لجاز مررتُ بعبدِ اللهِ الظريفَ، تريد ظريفاً. ولكنك إن شئت حملته على أحسنَ من هذا، كأنه قال: لقيتُ المسكينَ؛ لأنه إذا قال مررتُ بعبدِ اللهِ فهو عملٌ، كأنه أضمر عملاً. وكأن الذين حملوه على هذا إنما حملوه عليه فِراراً من أن يصفوا المضمَر، فكان حملهم إياه على الفعل أحسن».(سيبويه، 1988، 2/76)

ورأي جمهور النحويين أن الحال إذا أنت معرفة لفظاً فهي نكرة معنى؛ وذكروا لذلك مواضع معينة؛ منها: مررتُ به وحدَه؛ أي: «منفرداً»، وقولهم:»جاؤوا قضَّهم بقضيضهم، أي: جميعاً، وقولهم: «مررتُ بهم الجَمَاءَ الغَفِيرَ»؛ أي: «مررتُ بهم جامين غافرين»، ومنه أيضاً: كلمتُه فاه إلى فيَّ، أي:مشافهةً.(ابن يعيش، 2001، 20-2/18)

وقد تأثر البغداديون والكوفيون برأي يونس؛ فأجاز البغداديون تعريف الحال مطلقاً نحو: جاء زيد الراكبَ؛ أما الكوفيون فيجوزن تعريف الحال في حال وضعه في أسلوب الشرط نحو: زيد الراكبَ أحسنُ منه الماشيَ.(ابن عقيل/ 1980، 2/250)

3 – جواز حذف النون من مضارع كان المجزوم مطلقا:

ذهب سيبويه وجمهور النحويين إلى عدم جواز حذف النون من مضارع كان إذا وليها ساكن، فلا يصح أن يُقال: لم يَكُ الرجلُ قائما، وعللوا ذلك بأن النون قد تقوت بالحركة العارضة للتخلص من التقاء الساكنين، فبعد شبهها بحرف العلة فلا تحذف.

يقول سيبويه: «إلَّا أنهم قالوا: لا أدْرْ، في الوقف؛ لأنه كثر في كلامهم، فهو شاذ، كما قالوا: لم يكُ شُبِّهَت النون بالياء حيث سُكِّنَتْ، ولا يقولون: لم يكُ الرجلُ؛ لأنها في موضع تحرُّك، فلم يُشبَّه بلا أدْرْ، وما أدْرْ».(سيبويه، 1988، 4/184)

وخالف يونس في ذلك، قال السيوطي: «وأجاز يونس حذفها مع الساكن ووافقه ابن مالك تمسكا بنحو قوله:

لم يَكُ الحَقُّ سِوَى أنْ هَاجَهُ ** رَسْمُ دارٍ قدْ تَعفّتْ بالسَّرَرْ

وقوله: فإنْ لمْ تَكُ المرآةُ أبدتْ وَسَامةً **

وقوله: إذا لمْ تَكُ الحاجاتُ مِنْ هِمّةِ الْفَتَى **

والجمهور قالوا إن ذلك ضرورة، وما قاله ابن مالك من أن النون حذفت للتخفيف وثقل اللفظ والثقل بثبوتها قبل الساكن أشد فيكون الحذف حينئذ أولى رده أبو حيان؛ بأن التخفيف ليس هو العلة إنما العلة كثرة الاستعمال مع شبهها بحروف العلة وقد ضعف الشبه كما تقدم فزال أحد جزأيها والعلة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها».(السيوطي، 1987، 2/108)

4 - جواز إلحاق علامة الندبة بالاسم الواقع صفة:

من آراء يونس بن حبيب التي قال به الكوفيون لاحقاً قوله بجواز إلحاق علامة الندبة بالاسم الواقع صفة. جاء في الكتاب: « وأما يونس فيلحق الصفة الألف، فيقول: وازيدُ الظريفاهْ، واجُمْجُمَتَيْ الشامِيَّتَيْناهْ، وزعم الخليل رحمه الله أن هذا خطأ».(سيبويه، 1988، 2/226)

وهذا الرأي يقول به الكوفيون واحتجوا لذلك بأن قالوا: أجمعنا على أنه يجوز أن تلقى علامة الندبة على المضاف إليه، نحو قولك: «واعبد زَيدَاه»،«واغلام عَمْرَاه» فكذلك ههنا؛ لأن الصفة مع الموصوف بمنزلة المضاف مع المضاف إليه؛ فإذا جاز أن تلقى علامة الندبة على المضاف إليه فكذلك يجوز أن تلقى على الصفة، والذي يدل على ذلك ما روي عن بعض العرب أنه ضاع منه جمجمتان – أي قَدَحَان – فقال: «واجُمْجُمَتَيَّ الشَّامِيَّتَيْنَاه»؛ فألقى علامة الندبة على الصفة.(الأنباري، 2003، 1/300)

أما البصريون فعللوا المنع بأن ذكروا أن علامة الندبة إنما تلقى على ما يلحقه تنبيه النداء لمد الصوت، وليس ذلك موجوداً في الصفة؛ لأنها لا يلزم ذكرها مع الموصوف، قال المبرد: «وهذا عند جميع النحويين خطأٌ؛ لأن العلامة إنما تلحق ما لحقه تنبيه النداءِ لمدِّ الصوت، والنعت خارجٌ عن ذا».(المبرد، 1399هـ، 4/275)

وهم لا يسلمون بالتشابه في ذلك بين وضع المضاف والمضاف إليه ووضع الصفة والموصوف؛ لأن المضاف

لا يتم بدون ذكر المضاف إليه، بخلاف الموصوف مع الصفة فإن الموصوف يتم بدون ذكر الصفة؛ فلو قلت «عبد» في قولك: عبد زيد، أو «غلام» في قولك: غلام عمرو لم يتم إلا بذكر المضاف إليه، أما لو قلت «زيد» في قولك: هذا زيد الظريف فيتم الموصوف دون ذكر الصفة، وأنت في ذكرها مخيراً: إن شئت ذكرتها، وإن شئت لم تذكرها، لذلك الفرق بينهما واضح.(الأنباري، 2003، 301،1/300)

والظاهر أن إلحاق علامة الندبة بالصفة فيه شيء من الضعف لا يخفى؛ وذلك لأن المندوب مدعو على سبيل أنه متوجع منه أو عليه، وهذا الأمر لا ينطبق على الصفات التي ترد مع من هو معني بالندبة.

5 - تجويز دخول نون التوكيد على فعل الاثنين والإناث:

في هذه المسألة وافق رأي يونس مذهب الكوفيين فيها لاحقاً، فقد جوَّز قبلهم إلحاق نون التوكيد بفعل الاثنين وفعل الإناث؛ قال سيبويه: «وأما يونس وناس من النحويين فيقولون: اضْرِبانْ زيداً واضْرِبْنانْ زيداً، فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يُدْغَمَ».(سيبويه، 1988، 3/527)

وهذا المنحى يذهب إليه الكوفيون أيضاً؛ فهم يقولون بجواز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة؛ وذلك لوجهين:

أحدهما: أن هذه النون الخفيفة مخففة من الثقيلة، والثقيلة تدخل في هذين الموضعين؛ فكذلك النون الخفيفة .

والوجه الثاني: أن هذه النون إنما دخلت في القسم والأمر والنهي والاستفهام والشرط بـ «إما» لتوكيد الفعل المستقل، فكما يجوز إدخالها للتوكيد على كل فعل مستقبل وقع في هذه المواضع فكذلك فيما وقع الخلاف فيه، وقصارى ما يقدر أن يقال: إنه يؤدي إلى اجتماع الساكنين الألف والنون، وقد جاء ذلك في كلام العرب؛ لأن الألف فيها فرط مد، والمد يقوم مقام الحركة، وقد قرأ نافع، وهو أحد أئمة القراء: (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ) سورة الأنعام الآية:162 بسكون الياء مِنْ (ومحياي) فجمع بين الساكنين وهما الألف والياء، فكذلك ههنا.(الأنباري، 2003، 2/536)

أما البصريون فذكروا في منع ذلك مجموعة علل منها: أن نون التوكيد إذا دخلت على فعل الاثنين وجب حذف نون الإعراب، فإذا سقطت النون بقيت الألف؛ فلو أدخل عليها نون التوكيد الخفيفة لم يخل: إما أن تحذف الألف أو تكسر النون، أو تُقَرَّ ساكنة، فيبطل أن تحذف الألف؛ لأنه بحذفها يلتبس فعل الاثنين بالواحد، وبطل أن تكسر النون؛ لأنه لا يعلم هل هي نون الإعراب أو نون التوكيد، وبطل أن تُقَرَّ ساكنة؛ لأنه يؤدي إلى أن يجمع بين ساكنين مظهرين في الإدراج، وذلك لا يجوز؛ لأنه إنما يكون ذلك في كلامهم إذا كان الثاني منهما مدغماً، نحو: (دابة، وضالة) وما أشبه ذلك؛ فبطل لذلك إدخال هذه النون في فعل الاثنين .

وكذلك يبطل إدخالها في فعل جماعة النسوة؛ لأنها إذا لحقته فإما أن تبين النونين مظهرتين، أو تدغم إحداهما في الأخرى، أو تلحق بالفعل الألف فيكون على نحو: يفعلنان؛ فيبطل أن تبين النونين مظهرتين؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين، وذلك لا يجوز، ويبطل أن تدغم إحداهما في الأخرى؛ لأن لام الفعل ساكنة، والمدغم كذلك؛

فيلتقي ساكنان، والساكنان لا يجتمعان؛ فيؤدي إلى تحريك اللام مع ضمير الفاعل من غير فائدة، وذلك لا يجوز، كما أنه يؤدي إلى اللبس؛ لأنه لا يخلو: إما أن تحرك اللام بالفتح، أو الضم، أو الكسر؛ فإن حركتها بالفتح التبس بفعل الواحد إذا لحقته النون الشديدة، نحو تضربَن يا رجل وإن حركتها بالضم التبس بفعل الجمع، نحو: تضربُن يا رجال وإن حركتها بالكسر التبس بفعل المرأة المخاطبة، نحو: تضربِن يا امرأة فيبطل تحريك اللام، ويبطل أن تلحق بالفعل الألف؛ لأنك إما أن تكسر النون لالتقاء الساكنين، أو تتركها ساكنة مع الألف؛ فيبطل أن تكسر لالتقاء الساكنين؛ لأنها تجري مجرى نون الإعراب عندئذ، وذلك لا يجوز، ويبطل أن تتركها ساكنة مع الألف؛ لأنه يجتمع ساكنان على غير حده؛ ولم ينقل ذلك عن أحد من العرب،ولا نظير له في كلامهم، وذلك لا يجوز.(الأنباري، 2003، 2/537،538)

ومما عهد عن البصريين نفياً لدخول هاتين النونين في هذين الموضعين أنهم لا يعدون النون الخفيفة نوعاً من النون الثقيلة؛ بل كل واحدة منهما نوع قائم بذاته.(العكبري، 1995، 2/68)

6 - تجويزه العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار:

ومما وافق رأي يونس بن حبيب رأي الكوفيين ونحاة آخرين فيه لاحقاً من مسائل نحوية مصدرها نسبت إليه في غير كتاب سيبويه تجويزه العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار مع المعطوف في نحو: مررت بك وزيدٍ؛ فقد قال ابن مالك: « لا يمتنع في نحو: مررت بك وزيدٍ، وإذا بطل كون ما تعلقوا به مانعاً، وجب الاعتراف بصحة الجواز، ومن مؤيدات الجواز قوله تعالى:(وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) سورة البقرة الآية:217 بجر المسجد بالعطف على الهاء، لا بالعطف على سبيل، لاستلزامه العطف على المصدر قبل تمام صلته؛ لأن المعطوف على جزء الصلة داخل في الصلة، وتوفي هذا المحظور حمل أبا علي الشلوبين على موافقة يونس والأخفش والكوفيين في هذه المسألة».(ابن مالك، 1990، 3/376)

7 – القول بجواز إتباع المستثنى للمستثنى منه في حال تقدم المستثنى على المستثنى منه والكلام منفيٌّ:

ذهب سيبويه وجمهور النحويين إلى أن المستثنى إذا تقدم على المستثنى منه وكان الكلام منفيا وجب نصب المستثنى، نحو: ما قام إلا زيدا القومُ.(سيبويه، 1988، 3/335، ابن يعيش، 2001، 2/79، الأستربآذي: 1988، 2/83)

ذهب الكوفيون إلى جواز الإتباع، فيجيزون فيه أيضًا الرفع نحو: ما قام إلا زيدٌ أحدٌ.(الأزهري، 1992، 2/564)

ويؤيد مذهبهم ما حكاه يونس من أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم يقول: ما لي إلا أبوك ناصرٌ، بالرفع. (سيبويه، 1988، 2/337)

الخاتمة:

يمكن أن نوجز أهم نتائج البحث في النقاط الآتية:

1.يُعد الإمام يونس بن حبيب أحد الأعلام الذين أسسوا المذهب البصري وتركوا بصمة واضحة في مسائل النحو

واللغة.

2.كان ليونس بن حبيب آراؤه التي تفرَّد بها بين نحاة عصره، مما يدل على سعة روايته لكلام العرب، وأن له شخصية مستقلة ومنهجًا خاصًا في الاستنباط، أهلته لأن ينفرد بهذه الآراء.

3.لم يكن يونس بن حبيب من النحاة المتعصبين لآراء نحاة مدرسة البصرة التي ينسب إليها؛ لذا توافقت آراؤه في كثير من المسائل مع آراء غيره من أصحاب المدرسة الكوفية وغيرهم، مما دفع بعض البحّاث إلى عدَّه المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية.

4.كان لآراء يونس ابن حبيبٍ أثرٌ واضحٌ في كثير من المسائل التي خالف فيها نحاة الكوفة وغيرهم من النحاة مذهب البصريين؛ استنادًا لأدلة عقلية ونقلية تؤيد اجتهاداته ارتضاها من وافقه.

ويوصي الباحثان بإجراء دراسة تستهدف جمع المسائل التي حرص فيها سيبويه على عقد مقارنة بين رأي يونس بن حبيب والخليل بن أحمد بقصد الوقوف على الأصول النحوية التي بنى كل منهما آراءه عليها وبيان موقف سيبويه منها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1،المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.
- الأنباري، لأبي البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط،2 بغداد، ومصر، 1924م.
- الأزهري، الشيخ خالد، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق: عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط1، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1992م.
- الإستربآذي، رضي الدين، شرح الكافية، تحقيق: يوسف عمر، ط1، مطبوعات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.
- الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1987م.
- بروكامان، كارل، تاريخ الأدب العربي، تعريب: عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف، مصر، 1977م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: براجشتراسر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1913م
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، دت.
- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973 م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، دت.
- سيبويه، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة لجانجي، القاهرة، 1988م.

- السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط1، عيسى البابي الحلبي، 1374هـ

- السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدني وعلي سيد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ،2008م.- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، بيروت، 1979 م.- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

_ الشلوبين، أبو علي، التوطئة، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، دار التراث العربي، القاهرة، 1973م.

- العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، طبعة دار المعارف، مصر، 1327هـ

- ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، الناشر: دار التراث، بيروت، 1980م.

- ابن مالك، جمال الدين، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الحمد السيد، محمد بدوي مختون، ط1، دار هجر

- المرادي، ابن أم قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط1 دار الفكر العربي، القاهرة، 2008م.

- المرادي، ابن أم قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوه، ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

للطباعة، مصر، 1990م.

- العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله نبهان، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995م.

- ضيف، شوقي، المدارس النحوية، الطبعة 12، دار المعارف، القاهرة، 2017م.

- اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة نهضة مصر، القاهرة، 1955م.

- القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م.

- المبرد، أبوالعباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ط1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1399هـ..

- النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، طبعة المعرفة، بيروت - لبنان، 2009م.

- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2001م.W